

أصداء الاستفتاء في المغرب

كان المكتب الدائم لتنسيق التعريب في العالم العربي قد ارسل لطائفة من الكتاب والعلماء والمفكرين في نطاق دراسة مشاكل العربية وأوضاعها جلسة أسئلة تدور حول مستقبل اللغة وطريق النهوض بها وغير ذلك . وسيقيم في الآونة الأخيرة معارض للكتاب القانوني والفقهي ، والعسكري ، والاقتصادي والعلمي في كثير من مدن المغرب . كما سبق لجلسة « المعرفة » السورية ان قامت بالقاء عدة أسئلة على الاختصاصيين ومدرسي العلوم بالجامعات في العالم العربي ، وقد نشرت في بعض اعدادها اجوبة اولئك المختصين مما ساعد كثيرا على جس النبض في سير تدريس العلوم بلغة الضاد في البلاد العربية وتبيان مستقبل الدراسات العلمية العالية في الجامعات .

وتقوم « العلم » الآن بالقاء بعض الاسئلة ولو في نطاق ضيق ومحدود على بعض الاساتذة الذين اقاموا على كاهلهم في فترات عصيبة مهمة تعليم العلوم بالعربية في المدارس الحرة . والفترة التي شهدت قيام هذه الرسالة الكبيرة انطلقت من لا شيء ، وكان الاساتذة انفسهم يقدمون خطوة ويؤخرون أخرى . فالراجع معدومة ، والرجال متكونون بلغة فرنسية محض كانت معركة جد شاقة كلفت الجهود المضنية الى ان استطاع التعليم العلمي العربي في المدارس الحرة في النهاية ان يتحسس طريقه ويقف على رجليه فوق أرض ثابتة .

ولندخل في اجوبة بعض الاساتذة الذين وافونابها لتعرف الحقيقة منذ البدء :

فلائلة التي وجهناها لهم اربعة كالاتي :

- 1) قمتم بتدريس العلوم والرياضيات بالعربية في المدارس الحرة ، كيف كانت تجربة تدريس المواد العلمية لأول مرة بالنسبة لكم وللمدارس المغربية باللغة العربية ؟
- 2) هل انت التجربة بنتيجة ايجابية ، واستطاع المتخرجون من تلك المدارس ان يتابعوا دراستهم العلمية عند ما انتقلوا الى مدارس متخصصة سواء في المغرب أو الخارج ؟
- 3) بعد تعريب التعليم ازدادت فرص تلقين العلوم بالعربية خصوصا وان الانواع التي تلقت العلوم باللغتين على وشك التخرج وكذلك تعريب بعض الكتب والمصطلحات العلمية وغيرها ، فهل ستلعب هذه المقدمات دورا فعلا في ارساء تعليم علمي عربي بالبلاد ؟
- 4) مارستم تعليم العلوم بالعربية وانتم مطلعون ولا شك على مشاكله . هل تحددون المشاكل والصعوبات التي تحول دون اتمام هذه الرسالة ؟

تلاميذنا المكونون بالعربية يضاهاون أو يتفوقون على تلاميذ التعليم المكونين بالفرنسية

الاستاذ ادريس عمور
عميد المدرسة العليا للمهندسين

والرياضيات باللغة العربية ، ورغم كوني لست متبحرا في هذه اللغة ولم اكن متضلعا فيها ، فقد تمت باعطاء دروسي الاولى في الرياضيات بالعربية حوالي — 1950

— 1 —
* لقد مارست خلال عدة سنين ، او على الاصح خلال اكثر من عشر سنوا ت، تعليم الفيزياء والكيمياء

المقررة في الفيزياء والكيمياء والرياضيات ، بالمعاهد الثانوية (الفرنسية) .

وبعد الاستقلال ، أصبح من الممكن ان نحدث بثانوية مولاي يوسف بالرباط اول قسم معرب لتحضير البكالوريا الثانية في الرياضيات ، ثم حوالى سنة 1961 اولى سنة تحضيرية عليا معربة في الرياضيات والفيزياء والكيمياء بالمدرسة المحمدية للمهندسين .

لقد واجهتنا في هذه المرحلة العليا من تعريب المواد العلمية مشاكل عويصة ناتجة عن عدم وجود المراجع الضرورية ، الامر الذي جعلنا نلجأ الى استعمال الحروف اللاتينية للتعبير عن الرموز في الكيمياء والفيزياء والرياضيات .

وسأتكلم بعد حين عن هذه الصعوبات .

- 2 -

* لقد كانت لهذه التجربة طبعاً نتائج ايجابية فليس المغاربة من ذوي الذاكرة المحدودة : تذكرنا السنتين التجريبتين 1952 ، 1953 وما بعد سنة 1953 : فبفضل تعريب المواد العلمية في الطور الثانوي بالمدارس الحرة استطعنا سواء بالرباط ، أو سلا ، أو الدار البيضاء أو فاس الخ... ان نخلق نوعاً من النشاط في نفوس مجموعة من الشباب كانوا يظنون مستقبلهم مغلقاً عليهم وان انس فلن انسى عزة النفس التي كنت اقراها على وجوه تلاميذتي عندما كانوا يمثلون امامي قائلين : « لقد انجزنا المشكلة الحسابية المطروحة على تلاميذ ثانوية مولاي يوسف ولقد حللناها باللغة العربية لرماتنا الخ... »

وما اكثر ما واجهناه في طريقنا من عنـاد وتشكيك ! ورغم ذلك فان اقبال التلاميذ ونشاطهم بلغ شأواً كبيراً حوالى سنة 1954 - 1955 الى درجة ان كاد الامر يدفع بنا الى اخفاء برامجنا لكـون المسؤولين عن التعليم آنذاك كانوا يتخوفون من مزاحمة تعليم غير رسمي وان كان لا فرق تماماً بين مستواه ومستوى التعليم الرسمي ، ويلقن باللغة العربية !

وحوالى سنة 1955 ، حصلنا على الفوج الاول من الحاملين لشهادة البكالوريا ، غير الرسميين ، وان شئت فقل (المكونين في الخفاء) (لانه كان على المدارس الحرة في ذلك العهد الا يتعدى تعليمها السنة الثالثة من الطور الثانوي) ، وقد قام الاساتذة الشرقاوي، وابو بكر ، والبكاري وغيرهم ببعض

1951 - وربما قبل هذا التاريخ وذلك بمؤسسة لحدو بالدار البيضاء . ولولا مشاركتي وصمودي ، ولولا ايمان مدير المؤسسة المذكورة في نجاحي في هذه المهمة لكنت عجزت عن القيام بها بعد اسبوع من التدريس : نعم ، لقد كان يبدو لي اذ ذلك من قبيل المحال من الناحية العلمية ان ابلغ لعقول تلاميذتي فكرتي العلمية باللغة العربية ، حتى ادى بي الحال الى تقديم استقالتي ، غير ان المدير رفضها رفضاً تاماً وصار يشجعني ويقوي عزيمتي . فأصبحت بمحض ارادتي واجتهادي اقوم بتعريب مادة الرياضيات اولا ثم الفيزياء وبعد ذلك مادة الكيمياء . ولم تكن اذ ذلك رهن اشارتي أية مراجع في العلوم بالعربية ، مما جعلني اعتمد على الارتجال فقط . وكسنت النتيجة ان شعرت بهذه الظاهرة : فبدلاً من ان يظهر التلاميذ نوعاً من الضجر ويعسر عليهم الامر من عدم استطاعتي التعبير بطلاقة اللسان وايجاد اللفاظ العلمية بسهولة . فقد اندمجوا معي في هذه المحاولة واصبحوا بدورهم يبحثون معي عن المصطلحات التي تؤدي المعنى بدقة . ولم يكن ليتسنى ايجاد اللفظ قبل معرفة ما كان يرمي اليه ، وهذا البحث الاجماعي عن المصطلح المناسب كان عاملاً مهماً حمل التلاميذ على الاجتهاد في فهم الدرس النظري والتمارين التطبيقية فهما جيداً .

وقد تمينا بالبحث عن المصطلحات ، وهكذا فبعد مضي شهر ونصف من الحيرة والتردد ، أصبح في استطاعتي - رغم كوني لم اكن احسن اللغة العربية كما ذكرت آنفاً - ان اقوم بتدريس ما كان يبدو لي ذلك من قبيل المحال واعني بذلك مواد العلوم بالعربية.

وطبعاً ، خلال السنة التالية كنت ادرس باللغة العربية بنفس السهولة التي كانت تخولني اياها اللغة الفرنسية ، اقول كنت ادرس باللغة العربية كلا من مواد الرياضيات والفيزياء والكيمياء واخيراً البرامج المقررة في العلوم للسنوات الاولى من التعليم الثانوي .

ولما تمت : بمدارس محمد الخامس بالرباط صحة صديقتي الاستاذ الحسين البكاري ، بانشاء السنة الثانية من الطور الثانوي الثاني ثم فتح قسم البكالوريا العصرية الاولى 1953 - 1954 ، لم نجد اية صعوبة ، لان المصطلحات الاساسية كانت هي هي ، ولم تكن لتتغير ، وبهذه الطريقة استطعنا ان نزيل من عقلية التلاميذ المعربين كل مركب نقص وذلك بتلقينهم - باللغة العربية طبعاً - نفس البرامج

فانكم لا محالة ستمتكونون في اقرب الاجال من تعريب
تعليمنا العلمي .

- 4 -

* لقد اشرت فيما سبق الى بعض الصعوبات
التي منها ما هو جسيم ، وهي :

- (1) الرجال الضروريون لهذا التعريب .
- (2) النشاط والايان والثقة بالتعريب .

وهناك صعوبات اخرى على الصعيد التقني
ينبغي التغلب عليها ، وابدأ بالقول الى ان الحلول
التي اتادي بها للتغلب على هذه الصعوبات ، هي
حلول املتتها علي التجارب : فاذا اردنا القيام بعمل
ناجح ومفيد ، ينبغي ان نتجنب في ميدان تعريب
العلوم كل التعصبات والانفعالات القومية او اللغوية
او غيرها ، فعلينا الان ننسى ان العلوم عالية يسهم
فيها جميع اقطار المعمور ، فاذا كنا في حاجة الى ان
نتعرف الى ما وصلت اليه الاقطار الاخرى في هذا
المضمار ، علينا ان نعمل ايضا على ان يتمكنوا بدورهم
من التعرف على ما نقوم به نحن الاقطار العربية في
هذا الميدان . ففي الحقل العلمي اذا ، لا توجد بروج
عاجية يستحيل الوصول اليها ، وان اكبر ضرر في
نظري يمكن ان يلحق العرب المختصين في العلوم ، هو
ان يضعوا انفسهم داخل دائرة لا يمكن تجاوزها
والحل كما ذكرت ذلك آنفا : هو استعمال
الحروف اللاتينية في كتب الصيغ المتعلقة بالفيزياء
والكيمياء والرياضيات ، ابتداء من السنة الثالثة من
الطور الثانوي ، وكفى !

وهنا احكي حكايتين اشرح بهما هذا الببدأ
الاساسي او ما اعتبره مبدأ اساسيا :

كنت اقوم بتدريس مادة الرياضيات بقسم
البكالوريا الثانية المعربة في الرياضيات بثانوية مولاي
يوسف وكانت الدروس مفهومة جدا من طرف التلاميذ ،
غير اني كنت اشعر ان هؤلاء كانوا يغارون شيئا ما
من اصدقاتهم بقسم البكالوريا الثانية في الرياضيات
باللغة الفرنسية ، وذلك لان الاولين كانوا محصورين
في دائرة الدروس التي كنت القنهم اياها ، اما
الآخرون ، فكانوا يتفرون على عدة مصادر مهمة ،
وبالاخص على مؤلفات تحتوي على مشاكل حسابية
وتطبيقات منجزة باللغة الفرنسية طبعاً .

واذ ذاك ، تمت بالتجربة الاتية : اخذت
مطبوعات الرموز ومطبوعات الرموز وحدها فقط
وادخلت عليها الحروف اللاتينية وبدلاً من ان اكتب :

الاتصالات مع الاقطار الشقيقة في الشرق . وهكذا
فقد استطعنا الحصول على المصادقة والاعتراف
ببكالوريا برزت من الخفاء . هذا ومن بين ذلك الفوج ،
فقد دخل للمغرب عدد كبير من الطلبة وهم يمارسون
الآن مهمة التدريس بمعاهدنا .

وبعد سنة 1956 ، استطاع طلبتنا الحاملون
للباكوريا الثانية في الرياضيات الذهاب الى الخارج
علانية هذه المرة سواء لمصر او الشام .

كما سافر آخرون الى اوربا حيث تلقوا
تكويناً لغويًا في الفرنسية او الالمانية ، مكنهم
من متابعة دراستهم هناك بسهولة وقد رجعوا وهم
يحملون شهادة الليسانس في العلوم او درجة مهندس .

- 3 -

* نعم ، وبدون ادنى شك ! لقد عرفنا في الوقت
الذي لم يكن لدينا الوسائل سوى ايماننا وارادتنا .
سبق لي ان اشرت الى ذلك حيث كنا نقوم
بمفردنا بايجاد المصطلحات الضرورية ، اما الآن ،
فتوجد رهن اشارتنا لهذه الغاية قواميس مختصة ،
وكذلك طريقة منهجية للتعريب ، واكثر من ذلك ،
يمكن لنا الآن تنسيق التعريب بين سائر الاقطار
العربية .

وفي نظري ، فالتعريب في حد ذاته غير صعب ،
فليس هناك الا مشكل ، ومشكل واحد : من يا تری
سيقوم بالتعريب ؟ ومتى سنتوفر على جميع الاطر
التعليمية القادرة على تدريس جميع المواد العلمية
ليسهل تعريبها ؟

منذ لحظة ، كنت اصرخ صرخة المنتصر : لقد
استطعنا ان نعرب في الوقت الذي لم نكن نتوفر
فيه على الوسائل الضرورية : ولكن كان الامر اذ ذاك
يتعلق بمئات او بالآف من التلاميذ ، اما الآن ، فقد
اصبح يتعلق بعشرات الآلاف او بمئات الآلاف من
التلاميذ .

وعليه ، فتعريب التعليم الان امر سهل من حيث
البداً اما من حيث التطبيق ، فقد يكاد يكون من قبيل
المستحيل ، وذلك اذا نحن اخذنا بعين الاعتبار
تلة الاطر الضرورية .

ثم هناك في نظري سبب آخر اكثر خطورة وهو
انعدام النشاط وانعدام الثقة في الوصول الى هذا
الهدف ، وعليه فاذا ما انتم استطعتم ان تخلقوا
النشاط وقوة العزيمة كما كان الامر عليه سنة 1953 ،

المخصصة لزملائهم المسجلين بالانتماء الفرنسية ،
وان يقوم بتصحيح الاختبارات اساتذة فرنسيون ،
وقد شارك في هذه الامتحانات 26 طالبا معربا نجح
منهم 14 او 16 (لا أتذكر بالضبط) .

وخلصه القول :

ليس هناك مشكل لتعريب التعليم خصوصا في
الظروف الحالية :

فكويين الرجال وتقوية المزائم والجو الضروري
واستعمال الطرق الناجمة والعمل على نسيان
الانفعالات ، تلك هي في نظري المتواضع ،
الشروط الضرورية للوصول الى تعريب صحيح
يناسب العصر العلمي الذي هو عصرنا وذلك سواء
في التعليم الثانوي او العالسي .

انطلاق رائع للتعليم العلمي العربي يجب أن يعزز بفتح معاهد التخصص أمام المكونين بالعربية

الاستاذ العربي حصار
صيدلي ومدرس العلوم

اما بالنسبة للمدارس العربية فقد كانت
التجربة طبيعية ، وانما الشيء الذي وقف حائلا دون
جدية وفعالية الدروس هو انعدام وسائل الايضاح ،
وهذه المسألة تغلبنا عليها بوسائلنا الخاصة ، فمن
جانبي كنت ازود جهتي بالمواد الكيماوية وكان
الأخرون من جهتهم يضعون وسائلهم تحت تصرف
اتسامهم وهكذا ...

ورغم كل ما ذكرت فقد علقنا آمالا كبيرة على
انتصار التعليم العربي العلمي متى استقلت البلاد .
وللتدليل على مدى تلك الآمال فقد كنا نحث الطلبة على
التوجه الى الشرق وبالأخص سوريا لانها قريبة
الينا من حيث التكوين العلمي .

✽ وعن السؤال الثاني حول نتيجة التجربة
والانتقال الى متابعة العلوم في مدارس متخصصة
بالمغرب والخارج أجاب الاستاذ العربي حصار على
أنه يعتبر النتيجة ايجابية الى حد . فقد استطاع فعلا
كثير من المتخرجين بالعربية ان يتابعوا دراستهم
العلمية في الخارج سواء في الشرق كبعض المهندسين
وهناك دكتور في الكيمياء على وشك انهاء دراسته
وعدة طلبة يتابعون تعليمهم العالي في الفلاحة بالولايات
المتحدة وطالبان يدرسان الآن في الجزائر احدهما في
كلية الطب والآخر في كلية الصيدلة فترة تدريب

$$1 \text{ س} + 2 \text{ ب} + \text{س} = 0$$

$$\text{كتبت } a x^2 + b x + C = 0$$

وبعد مضي شهر واحد ، اصبح تلامذتي
يتفهمون على مطبوعات الرموز ، لاسيا وان هذه
الرموز تجعل الطالب يسير الدروس مساهرة
سحرية وبغاية السهولة .

أما الحكاية الثانية ، فهي كما يلي :

حتى سنتي 1957 - 1958 ، لم يكن أحد
يؤمن بصفة معقولة في تعريب قسم البكالوريا الثانية
في الرياضيات . وبعد جهود جبارة استطعنا ان نحصل
على الموافقة لانشاء هذا القسم .

ولما شعرت ان تلامذتي تعودوا جيدا على
استعمال الحروف اللاتينية في كتابة الصيغ ، طلبت -
وحظي طلبي بالقبول - ان يجتازوا نفس الامتحانات

✽ فيما يتعلق بالسؤال الاول على تجربة تدريس
المواد العلمية بالعربية لاول مرة بالنسبة لي فقد كانت
تقريبا بطريقة الصدفة اذ في سنة 1950 تأسست
ثانوية النهضة بسلا وكانت في حاجة اكيدة لاساتذة في
تدريس العلوم بالعربية وبديهي ان الواجب كان يدعو
اذ ذاك للتلبية والمشاركة في ارساء دعائم النهضة
العلمية بالبلاد . ولبيت النداء ، وكانت مهمة صعبة
وشاقة لانني تلقيت تكويني العلمي بلغة اجنبية
في مدرسة فرنسية محضة لان اللغة العربية تعتبر
حينذاك لغة اجنبية . واستطعت تلبية لرغبة الاستاذ
ابي بكر القادري ان اضع امكانياتي في سبيل وضع
اللبات الاولى دون ان انسى انني لم اكن مهيا للمهمة .
وتتبع الصعوبات التي واجهتني اذ ذاك في عدم وجود
مراجع مدرسية علمية بالعربية سواء في الطبيعيات
او الكيمياء والفيزياء . واضطرت انا والاخوان
الاساتذة عمور ، والبكاري والطيب بن عمر ان نعكف
على ترجمة الكتب الفرنسية . وكانت تجربة انطلقنا
فيها من الصفر وسارت رويدا رويدا الى ما بعد
الاستقلال ، وخرجنا من التجربة بنتيجة سارة
استطعنا فيها لا نقول الانتصار وانما قهر الصعوبات
العديدة . وأؤكد بهذه المناسبة انني خرجت وانسا
ملم باللغة العربية بفضل العكوف والتدريس .